في أربعينية سيد شهداء الأمّة الإسلامية

السيد حسن نصر الله يهزم الصهاينة في حياته وبعد استشهاده

الوفاق

في أربعين سماحة السيّد، تحت ظلّ صوته تنمو الأبجديةُ وتورِقُ الكلمات، وفوقَ صدى عينيه يرتفعُ فضاء المعاني، ومثلَ قوام سبابتِه تتمايلُ الأقلام على أديم الصفحات، كأنّه هنا... بل هو حقيقةً هنا، يُملي علينا فنخطِبُ، يقرأ لنا فنسمع، يسألُنا فنجيبُه: نعم نعم يا سيّدُ! وحقِّ دمِك... حسنٌ هو... نصرُ الله. أيها الأصدقاء والأخوة، كان بودّي أن أكون حاضرًا بينكم لولا الظروف القاسية التي تعرفون التي تفرض عليّ فرضاً أن أبقى في لبنان. لكنّ أربعين سماحةِ السيد الشهيد، كبيرِ شهداء هذا العصر، تجمَعُ أحرارَ العالم كلَّهم إلى مقامٍ واحد، ولو تباعدَت بهم المطارح. إنّه مقام الكرامة والصدق والشجاعة والشهامة والإيمان، والسعي إلى الشهادة في سبيل الله والحقّ والوطن. فهنيئًا لمن كَتَبَ له اللهُ على لوحِ قدَرِه أن لا تكونَ منيّتُه إلاّ على ذروةِ مجده، في النشْأتَين الأولى والآخِرة؛ وفي هذا المعنى أستعير ببعض التصرّف بيتًا من الشعر لبدويّ الجبل فأقول:

لِحُتُوفِ الرِّدى شمائلُ كالنّاسِ
فَمَوْتٌ وَغْدٌ وموتٌ نبيلُ

فمباركٌ للشهداء، وعلى رأسهم سماحة سيِّدِ المقاومةِ، استشهادهم النبيل.

في الأربعين، سأحاولُ أن أجفِّفَ دموعَ الحبر، وأمضي إلى آفاق المسيرة العطِرَة التي ملأت هذه الأرضَ شموخًا وتواضعًا، وبطولةً وتضحية، وقُربى من الناس برغم الاحتجابِ القسريّ، وسُكنى في مِلْءِ القلوبِ والأشواق والآمالِ والعزائم، وإعلانًا حيًّا بأن الفضيلةَ يمكنُها أن تصيرَ إنسانًا من لحمٍ ودم.

والحديثُ في فضائل السيّد الشهيد، يمضي بنا قُدُمًا إلى البعد الإيمانيّ الذي شكّلَ السِّمَةَ الأكثرَ بروزًا في شخصيَّتِه. فالعلوم الدينية التي تلقّاها وواظب على تدريسِها، وخصوصًا في ليالي رمضان وعاشوراء، لم يتَّخِذْها من أجل الدرجات العلمية فقط، بل كشفَت لنا خُطَبُه فيها أنّه شخصيَّةٌ إيمانيةٌ استثنائية، كمثل ما هو مرجعيةٌ دينية، ذلك أنه كان مدركًا تمام الإدراك أنّ غاية الحياةِ الدُّنيا عيشُ مكارمِ الأخلاق، عبر الإيمان المقرون بممارسة الفضيلة عمليًّا ويوميًّا، فلقد دعا إلى والكلام لسماحته:" التعامل داخل العائلة بالمودّة والرحمة وحسن العشرة واستحباب التوسعة على العيال، وصلة الرحم، والعلاقة مع الجيران، واحترام الآخرين، والعمل والكد، وكسب الرزق الحلال، وإدخال البهجة إلى قلوب الناس، وتجاوز الأنانية للتفكير بالآخرين بحياتهم وبمعيشتهم، أما التفكير بطريقة أنا وحزبي وعائلتي وبعدي الطوفان، فلا يُعتبر ثقافة إنسانية".

كما دعا الجيل المؤمن إلى الترقّي اذ يقول سماحته:"بالعلم وبالتكنولوجيا والتطوير العلمي، وبالأمن الغذائي والصحي وبالتأكيد على سنّة الزواج، وبتكوين العائلة وكلّ ما يرتبط بتكوينها، والحث على الإنجاب"، ومن أثرِ عيشِ الفضيلةِ عندَه زهدُه بكل مَتاع الأرض ومُتَعِها، واختيارُه أن يكون عمرُه كلُّه منذورًا لله والحقِّ والأمّة. فقد تخلّى عن عَرَضِ الأرضِ لكي ينالَ جوهرَ السماء. وتمثَّلَ ذلك في دعوتِه إلى الوحدتين الإسلامية والوطنية ومكافحة الإرهاب الذي هو المعنى المرادفُ للصهيونية. وفي التماهي بين ثقافة الحياة والعمل المقاوم، لأن الحياة التي لا كرامةَ فيها أشبهُ بالموت. وفي هذا يقول سماحته الجهاد والمقاومة والشهادة جزءٌ من ثقافة الحياة الطيبة السعيدة العزيزة لأنها من عناصر الدفاع عنها وبقائها... ثقافة الحياة لا تأتي من أمريكا بل ثقافة الموت، ومن يعبِّر اليوم عن ثقافة الحياة هو من يدافع ويقاوم ويستشهد ومن يصمد".

وكان رسوخُ اعتقاده بثقافة الحياة الكريمة هذه، جسرَ عبوره إلى الآخر الشريك في الوطن. وما تفاهم مار مخايل الذي عقده مع التيار الوطني الحر برئاسة العماد ميشال عون، سوى تعبيرٍ عن هذا الإيمان بالشراكة الوطنية، مارسَه بالفعل في جميع الاستحقاقات التشريعية والتنفيذية، وفي مجرى الحياة الدستورية في لبنان، التي خاضَها كلٌّ من موقع وزراءُ الحزب ونوّابُه.

ومن أجل الحفاظ على الوحدة الوطنية كان سكوتُه عن الإساءات والاعتداءات والتجاوزات التي ارتُكِبَت بحق المقاومة وبيئتِها، كي لا يكون في ردة الفعل أيُّ ضرر على استتباب السلم الداخلي. و"لأنَّ كبيرَ القومِ لا يحملُ الحِقدا" كما يقول الشاعر، فلطالما دعا القوى السياسية اللبنانية إلى أن يشدَّ بعضُها أزرَ بعضٍ حمايةً للوطن ومستقبل أجيالِه الطالعة. يقول: "رسالتي إلى الداخل اللبناني، إلى المسلمين والمسيحيين، إلى الشيعة والسنة والدروز وكل أتباع المذاهب المسيحية. أقول لهم نحن رسالتنا واضحة، نريد لبنان بلداً للجميع لكل أبنائه لكل طوائفه، لا نريد تغيير الصيغة السياسية، نحن لا نطمح لحكم لبنان ولا للسيطرة على لبنان ولا على الاستبداد بلبنان".

أما الموقف من الصهاينة وجرائمهم، فحسبُ السيد الشهيد أنه هزمَهم في حياته مراتٍ ومرات، وأنه هزمَهم أيضًا باستشهادِه لأن دمه انفجرَ على طول خطوط المواجهة الأمامية، أساطير بطولةٍ ستُزيح حتمًا هذا العدوان وتقضي على الكيانِ المسخ القائم على الأسطورة الميّتة منذ عشرات القرون، والذي منذ انزرع في أرضِنا يمارسُ طبعَه العنصريَّ القاتل ويزرعُ الموتَ والدمار في كلِّ دول الإقليم.

ويا سماحة السيد الشهيد!

حاضرٌ أنت في غيابك كأرزةٍ يتّكئ عليها الزمان، لكي يتفيّأ سيادةً وكرامةً. ونحن باقون على العهد ما تداولتِ الأرضُ النهارَ والليل، عزائمَ تتزاحمُ على دروبِ النصر والتحرير، وقلوبًا مؤمنةً بما علَّمْتَها: أن الصهاينة لا يقتصرُ عدوانهم على فلسطين وحدها، بل هُم داءُ هذا الشرق كلِّه، وخرابُ العالم أجمع. ذلك أن فكرَهم الذي بنَوا عليه وجودَهم فوق أرضِنا، قائمٌ على العنصرية البغيضة والهوسِ المريضِ بالدماء المسفوكةِ والمعالمِ المهدمة المنهوبة. وباقٍ أنت بيننا في كلِّ بندقية وصاروخٍ ومسيَّرة، في نظرات كلِّ طفلٍ ودموعِ كلِّ امرأة، وفي رجاءِ أن تكون لنا أوطانٌ موحدةٌ على القيم والخير، سيِّدةٌ على قرارِها ومصائرِ أجيالِها، متحررة من أدران الصهاينة القتلة.

سماحة السيد الشهيد، قبل أن يفيضَ الحبرُ دمعًا، اسمحْ لي أن أطويَ الكلام.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يوم ولدت ويوم استشهدت، والسلام موصولٌ لأصحابك المقاومين الميامين الشهداء منهم والمرابطين، والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

كلمة وزير الثقافة اللبناني محمد وسام المرتضى في مؤتمر مدرسة الشهيد نصر الله

هزمَهم السيد في حياته مراتٍ ومرات، وباستشهادِه لأن دمه انفجرَ على طول خطوط المواجهة الأمامية، أساطير بطولةٍ ستُزيح حتمًا هذا العدوان وتقضي على الكيانِ المسخِ القائم

سيرة شهيد

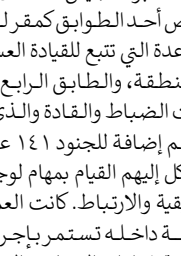

الشهيد أحمد قصير.. فاتح عهد الاستشهاديين

١١ تشرين الثاني عام ١٩٨٢، كان الحاكم العسكري الصهيوني في مبناه المحصن في مدينة صور، يتأمل خارطة لبنان، البلد الذي يمكن "احتلاله بفرقة موسيقية" وفق تعبير وزير حرب الكيان الغاصب موشيه دايان، لكن فتى في ١٨ من عمره كان له رأي آخر وقوة هائلة ومثالية على الاقناع، بالدم والبارود والنار، باللغة التي يفهمها الكيان الصهيوني تماماً.

الاستشهادي أحمد قصير، الإسم الذي بقي مجهولاً حتى ١٩ أيلول ١٩٨٥، مع وضوح تفاصيل العملية وأهدافها وتداعياتها. تلك التي جعلت وزير الدفاع الصهيوني والمشرف على الحرب أرييل شارون، يقف على أنقاض مبنى الحاكم باكياً تبددَ مشروعه في احتلال البلاد.

كانت الساعة قرابة السابعة، أي في الوقت الذي ينتهي فيه دوام الدوريات الليلة وتبدأ عمليات التبديل، ما يعني وجود عناصر التبديل الليلي والنهاري في المبنى إضافة للبقية. وكان مبنى مقر الحاكم العسكري الصهيوني المؤلف من ٨ طبقات، تحتوي على مكاتب تابعة لمخابرات جيش الاحتلال، فيما خصص أحد الطوابق كمقر لوحدة المساعدة التي تتبع للقيادة العسكرية في المنطقة، والطابق الرابع كمقر لمبيت الضباط والقادة والذي يبلغ عددهم إضافة للجنود ١٤١ عنصراً، والموكل إليهم القيام بمهام لوجستية وتنسيقية والارتباط. كانت العمليات الادارية داخله تستمر بإجراءاتها الروتينية في إدارة المجازر والعمليات العسكرية، عندما اقتحمت سيارة بيضاء اللون مفخخة بعبوة ضخمة، اجتازت الحواجز الأمنية، وأطبقت المبنى على من فيه ومن بينهم الحاكم العسكري، في عملية كانت البداية لمرحلة جديدة لم يكن كيان الاحتلال قد حسب لها حساباً.

أول عملية استشهادية

عام ٢٠٠١، أعلن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله(قدس) أن هذه العملية "هي أول عملية استشهادية من هذا النوع في تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني، والمرة التي يركب فيها شاب سيارة مليئة بالمتفجرات ويقتحم قلعة من قلاع العدو ويدمرها، وهذا يعني أن العملية سنّت سنّة حسنة في مجال العمل الجهادي التي له أجرها وأجر من عمل بها، لذلك كنّا نرى وجه أحمد قصير مع كل استشهادي في لبنان يقتحم قلاع وقوافل العدو وما زلنا نرى وجه أحمد يقتحم المجمعات العسكرية ومجتمع العدو في فلسطين... من يذكر تلك الأيام التي تميّزت بالتفوق الصهيوني والعلو، حتّى انّ الواحد منّا ما كان ليجرؤ أن يحلم بمواجهة الصهاينة، لكن بعد أشهر قليلة يفاجأ الصهاينة بهذا النوع الجديد من العمليات الذي لا يمكن استيراده لا من الولايات المتحدة ولا من الاتحاد السوفياتي، هذا النوع لا يمكن أن يصنع إلاّ من قيم وشرف هذه الأمّة".

عائلة مقاومة

ينتمي الشهيد إلى عائلة مقاومة، فقد ارتقى للشهيد أربعة أشقاء شهداء وفي تواريخ مختلفة، والشهداء هم موسى (١٩٩٦)، وربيع (٢٠٠٦)، ومحمد (٢٠٢٤)، وكان آخرهم حسن صهر سيد شهداء الأمة السيد حسن نصر الله والذي ارتقى شهيداً على طريق القدس جراء الغارة الصهيونية التي استهدفت منطقة المزة في دمشق.

كتاب

"سرّ الألوان في الدحنون".. الكتابة بحبر الدم والتراب

القصة المكتوبة في هذه المجموعة القصصية "سرّ الألوان في الدحنون" هي عبارة عن استعادة لقصة عاشها الإنسان في الجنوب اللبناني تحت نير الاحتلال الصهيوني .

ويختم حجازي مجموعته القصصية بقصّة "كفّ القاسم ملحمة العشق الذي لا ينتهي"، وهي حكاية ذلك المقاوم الأسطوري الذي يدعى قاسم سليماني، الذي قاد صراعاً عنيداً، ضدّ الاستكبار العالمي الذي يشبه أفعى الهيدرا بأذرعها ورؤوسها القاتلة والشديدة السمّية، وذلك من إيران إلى لبنان وفلسطين وسوريا والعراق، وبعد تحقيق العديد من الإنجازات للمقاومة يتحقّق لهذه الأفعى القاتلة وبدعم من حلفائها أن تلقي لهيب نارها على موكب هذا القائد البطل قاسم سليماني وأخوته ليستشهدوا في مطار بغداد.

يتخذ القاصّ د علي حجازي من الحدث الواقعي مرجعاً لكتابة القصة، فالقصة المكتوبة عند حجازي في مجموعته القصصية" سرّ الألوان في الدحنون" هي عبارة عن استعادة لقصة عاشها الإنسان في الجنوب اللبناني تحت نير الاحتلال الإسرائيلي .

تتراصف قصص حجازي وعددها ١٤ قصة متفاعلة مع مظلومية هذا الإنسان مشكّلة امتداداً لمعاناته وصوتاً أدبياً لصراعه المرير في سبيل سعيه الدؤوب لتحقيق شروط العيش في وطنه بعزة وكرامة، وتغرف هذه القصص من نبع واحد هو الظلم والعدوان الذي مارسه الاحتلال على المواطن اللبناني في الجنوب، لذا نجد هذه القصص مفعمة بالأمل والعزة والحماسة، الأمر الذي يجعلها منحازة أحياناً إلى التعبوية والاستنهاض من غير أن تتخلّى عن الشرط الفني وما يفترضه من دهشة وغموض، وإشراك للقارئ في النص من تحليل وتخييل وتأويل في عملية تبادلية يشتعل فيها الزيت وفتيله ليُضيئا معاً قنديل هذه التجربة الكتابية الإبداعية .

يتأمل حجازي في وجوه واقع القهر الذي يمارسه الاحتلال ويلقي شباكه في بحر القصة فيستخرج نصوصاً مختلفة ألوانها، فيصوّر لنا مشاهد حيّة مترافقة مع تصوير دقيق للمكان والزمان والشخصيات، فينقل تجارب حسية غنية بعمقها النفسي والثقافي من خلال بناء شخصيات محورية واقعية ومؤثّرة، ويوظّف هذه الشخصيات والأحداث والمواقف لنقل رسالة أخلاقية بطريقة غير نمطية وإنّما مباشرة، تبقى امتداداً لواقع واحد ينكر الاحتلال بلغة طازجة تحضر فيها الفكرة المجرّدة ويعوزها الإيحاء ويفتقدها التعقيد، ويظلّ التاريخ (تاريخ حقبة الاحتلال للجنوب اللبناني) المرجع الأساسي والرحم الذي ولدت منه هذه القصص التي تمّ جمعها تحت عنوان "سرّ الألوان في الدحنون"، هو عنوان قصة واحدة من هذه المجموعة القصصية من باب تسمية الكلّ بالجزء محقّقة استقلالاً ذاتياً.

نجح حجازي في "سرّ الألوان في الدحنون "في تكوين حقل مغلق من الإشارات والرموز والدلالات، كأنما انغلاقه جاء كضرورة علاجية تعطي الإنسان المحرّر توازناً يحتاج إليه ينفي ما علق في النفس من غبار الاحتلال .